﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العملُ الصّالِحُ حِرزُ الإيمان

لمّا أمرَ في الآية السّابقة بإخلاص العبادة للّه وحده لا شريك له، وأسَّس بِشارة النبيِّ ونِذَارتَه على هذا الأصل، أعقبَ ذلك الأصلَ بما يُثَبِّتُه، ويَصونُه، ويُديمُه من العمل والطّاعة، وهو الأمر بالاستغفار والتوبة، وأتْبَعَهُ بتفصيل موضع البشارة والنِّذارة من الثواب والعقاب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُمَتِّعْكُم﴾: مِنْ (متع) وهو أصلٌ يدلُّ على طولِ المُدَّةِ في الخيرِ والمنفعة، ومنه المَتاع: وهو انتفاعٌ مُمْتَدُّ الوقت، ومنه المُتْعة: وهي لذَّةُ النِّعمةِ حال الاستمتاع بها، ومعنى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يُعمِّرُكُم في طَيِّبِ العيْش والمتاعِ السَّهلِ الذي لا شَقْوةَ فيه[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وسائلُ تمتيعِ اللهِ عبادَه متاعًا حسنًا بالنِّعم والأرزاق والخيرات

أقبِلوا على ربِّكم، واسألوه أنْ يغفِر لكم ذنوبَكم، ثمَّ ارجِعوا إليه نادِمين تائبين، فإنْ فعلتُم؛ فإنَّه يُمتِّعكم في دنياكم متاعًا حسنًا بالحياةِ الطَّيِّبة والعيشِ السَّهل الهيِّن، إلى أن يَحين أجلُكم، ويُعطى كلُّ ذي فضلٍ من علمٍ وعملٍ جزاءَ فضلِه كاملًا لا نقصَ فيه، جزاءً يليقُ بسَعةِ فضلِ اللّه، وإنْ تُعرِضوا عمّا أدعوكم إليه؛ فإنّي أخشى عليكم عذاب يومٍ شديدِ الأهوال، وهو يوم القيامة[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (متع).

(2) مجمّع الملك فهد، التفسير الميسّر، ص: 221.

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ من زادَ في الإحسان، زادَ الله له في الثوابِ بقدْرِ ما زادَ من الحسناتِ والأعمالِ الصالحة، كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الشورى: 26].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ عطف الآية على سابقتها:

برهانُ العبوديَّةِ رجـاءُ المغفرة وحسْنُ التوبة

جملة: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ معطوفةٌ على قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ وحسُنَ الوصل بالواو لاتِّحادها مع ما قبلها في معنى الإنشاء، فجملة: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ نهيٌ عن مرهوب، وجملة: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾ أمْرٌ بمرغوب، و(أنْ) في الجملتين تفسيريَّة؛ إذِ الجملتانِ بيانٌ لِما في قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ من إجمال[1].

معنى ﴿وَأَنِ﴾ ونكتةُ إعادتِها:

لا اشتباهَ ولا إبهامَ في أصول التكاليف والأحكام

﴿وَأَنِ﴾ في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾ إمّا تفسيريَّة، وقد سبق بيانُ أنَّه الراجح، لعدمِ الإضمار ولعطفِ الإنشاء على الإنشاء، ونكتةُ إعادتها في: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾ مع عدم الاكتفاء بها أوَّل مرَّة في قوله: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾؛ لوجود الفاصل بينها وبين معطوفها، وهو قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾، فلو جاء النَّظمُ: (ألا تعبدوا إلا اللّه إنَّني لكم منه نذيرٌ وبشير، واستغفروا)؛ لأوْهَمَ عدمَ دخول جملة الأمر بالاستغفار في حيِّز تفسيرِ الجملة المتضمِّنة معنى القولِ: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، فأعاد (أنْ) لإلحاقها بتفسير الإجمال السابق عليها، فهي قسيمةُ الجملةِ الأولى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ في التفسير، ولو حذفَ (أنْ)؛ لأوهمَ انقطاعها عن هذا التقسيمِ التفسيريِّ[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/317.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/312.

دلالةُ الأمر في: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾:

ليس القصدُ قولَ الاستغفار، بل الدُّخولَ في حالِ الاستغفار

فعل الأمر في قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾ يفيد وجوب الدُّخولِ في حال الاستغفار بعد التبرُّؤِ من الشِّرك وإفراد الله وحده بالعبادة، وفائدةُ الأمْرِ به: طلبُ العفوِ عمّا مضى من حالِ الشِّرك والإبعاد بالمعاصي، وسؤال السَّترِ بالوقايةِ من عدم القبول، أو الوقاية من عاقبة السّوء في الحال والاستقبال.

نكتةُ التَّعبير بلفظ الربوبيَّة وإضافته إلى ضمير المخاطَب:

مغفرةُ اللهِ مضمونةٌ بتحقيقِ الاستغفار

أوَّلًا: إسناد الاستغفار إلى لفظِ الرُّبوبيَّة؛ لِما بينهما من حُسْنِ المُناسبة، فإنَّ الاستغفار استعطافٌ من العبدِ لله الكريم أنْ يتفضَّل عليه بعطايا الغفران من السَّتر والوقاية وحسن العاقبة، ولا يَتِمُّ ذلك للعبدِ إلّا بِمَدَدِ الرُّبوبيَّة ومقتضاها من الإحسانِ والإنعام، فكأنَّ في إسنادِ الأمرِ إلى وصفِ الربوبيَّة وَعْدًا بالمغفرةِ وإيذانًا بها.

ثانيًا: في إضافةِ لفظ الربوبيَّةِ إلى ضمير الخطاب إيذانٌ بِقربِ الله من المُستغفرين وتودُّدِه إليهم بإسراع إجابتهم وإيناسِ خواطرهم بالمغفرة والقبول.

معنى ﴿ثُمَّ﴾:

لا ينفكُّ المؤمن عن حال الاستغفار والتوبة

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ على بابِها من التَّراخي الزَّمني؛ لأنَّ مَرتبةَ العملِ بالتَّوبة متأخِّرةٌ عن مرتبةِ القولِ بالاستغفار، فكَمْ مِنْ مُستغفرٍ وهو مُصِرٌّ على الذنب، وهذا محمولٌ على اعتبار التبايُنِ بين التَّوبةِ والاستغفارِ في الحقيقةِ المعنويَّة فينفصلان في الحدوث.

وأمّا بالنَّظرِ إلى اعتبار اتِّحادهما في الشَّرطيَّة والتَّمام، إذ لا يصحُّ الاستغفار إلّا بالتوبة، ولا تتمُّ التوبة إلا بالاستغفار، فـ﴿ثُمَّ﴾ محمولةٌ على التراخي الرُّتبيِّ لا الزَّمنيِّ، فهي تفيد - حينئذٍ -

الترتيبَ والتَّراخي؛ "للدَّلالة على البُعد بين المقامين: مقامِ الاستغفار عن الشِّرك، ومقامِ التوبة، فالتوبة ذاتها عبادة، ولا تراخي في الزمن، بل الزَّمن واحد، ولكنَّ البُعد في الرُّتْبة"[1]، ووجْه الرُّتْبيَّة بين الاستغفار والتوبة: أنَّ مُسمّى التوبة بتصحيحِ حال الشِّرك بالعبوديَّة الخالصةِ لله، أهمُّ وأعلى رتْبةً من مجرَّد سؤال المغفرة على ما كان، فالتركيبُ من باب الترقّي من الأدنى إلى الأعْلى[2].

دلالةُ الأمر بقوله: ﴿تُوبُوٓاْ﴾:

التوبةُ أجْمَعُ من الاستغفار

الأمر بالتوبةِ في قوله: ﴿تُوبُوٓاْ﴾ الأصل فيه الوجوب، ويفيد معنى اتِّصافِ العبدِ بالبُعدِ عن الله قبل توبتِه، وبالعودةِ إلى خلْقِه الأوَّل بُعدها من الفطرة المستقيمة والطَّبْع السليمِ الصّالِح للعبوديَّة الخالصة وَالكَارِهِ لِلْفُسُوقِ والعصيان[3].

نكتةُ تقديم الأمر بالاستغفار على الأمر بالتوبة:

الاستغفار ندمٌ على الماضي، والتوبةُ تصحيحٌ للحاضر

تقديمُ الاستغفار على التَّوبةِ في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ لِتقدُّم مُتعلَّق الاستغفار على متعلَّقِ التَّوبةِ في الزَّمَن، فالاستغفار يتعلَّق بسؤال المغفرة ممّا مضى، وانقضى، وفات من العمَل أنْ يُغْفَر، ويُستَر، والتوبةُ فيها ملابسةٌ لعملٍ صالحٍ حاضر، ونيَّةٌ تتعلَّق بالمستقبل في الإقلاع عن الذَّنب وعدم العوْدة، وندمٌ يتعلَّق بما فات، ومضى من السّوء، وجُزْؤها الذي يتعلَّق بالماضي يقومُ به حال الاستغفار، فثبتَ أنَّ الاستغفار أخلصُ بالماضي، والتوبةُ أخْلَصُ للحال والاستقبال، والماضي أسبق، فوقَع الاستغفار سابقًا في النَّظمِ على التوبة[4].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3662.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/312، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/149، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/378، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/120، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/317.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3662.

(4) الفرّاء، معاني القرآن: 2/3، والماوردي، النكت والعيون: 2/456، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/315.

الموقع النَّحويُّ لـ: ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾:

الفعل المضارع في قوله: ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ مجزومٌ لوقوعه جوابًا للأمر في قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾، مع عدم اقترانه بالفاء، وجملةُ جوابِ الأمر لا محلَّ لها من الإعراب؛ لأنَّها على تقدير شرط: (إنْ تستغفروا، وتتوبوا؛ يُمتِّعْكُم)[1].

المتاع الحسن جزاءُ الاستغفار والتوبة

غرضُ التَّوكيد بالمفعول المطلق ﴿مَّتَٰعًا﴾:

أكَّد الفِعلَ بالمفعول المطلق في قوله: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾؛ لِقصْدِ إجراء الوصفِ عليه بقوله: ﴿حَسَنًا﴾، فلولا الإطنابُ بمجيء اسم المصدر ﴿مَّتَٰعًا﴾؛ لَمَا تأتّى مجيءُ الوصف بالحُسن، فكان المفعولُ المطلقُ وُصْلَةً يُتَوَسَّلُ بها الوصف المذكور[2].

ليس كلُّ متاعٍ يُطلَبُ، فلا يُرجى إلّا المتاعُ الحسَن

دلالةُ التعبير باسم المصدر دون لفظِ المصدر:

لم يقل في السياق الكريم: (يُمَتِّعكم تَمْتيعًا) بالمصدر، بل عبَّر باسم المصدر: ﴿مَّتَٰعًا﴾؛ لأنَّ اسمَ المصدر يدلُّ على الاسم المفهوم من الحدث، والمصدر يدلُّ على الحدث، فالمتاع هو اسم الشيء الحاصل من حدَثِ التَّمتيع وهو مادَّةُ الشيء المُتَمَتَّع به، فاسم المصدر يدلُّ بموجبِه على اسم الشَّيء وعلى الذاتِ التي تعلَّق بها، ولذا جاز أن يكون لفظ ﴿مَّتَٰعًا﴾ مفعولًا به، باعتبار دلالتِه كاسمِ مصدرٍ على "اسمِ ما يُنتفع به من منافع الدنيا من الأموال والبنين وغير ذلك"[3]، لا على اعتبار أنَّه في موقع المصدر[4].

القناعةُ والرِّضا متاعٌ حسَن، فليس كلُّ المتاع مادَّةً وأعيانًا

وجهُ إطلاق لفظ (المتاع) على منافع الدنيا:

عبَّر عن منافع الدنيا بالمتاع، تسميةً للشيء بما يؤول إليه، ويُبتغَى منه على سبيل المجاز المرسل لاعتبار ما يكون، وهي علاقةُ الأيلولة؛

متاعُ الدُّنيا سريعُ الزوالِ سريعُ الفواتِ سريعُ التحوُّل

(1) صافي، الجدول: 11/217.
(2) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/283.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/194.
(4) فاضل السامرائي، معاني النحو: 3/164.

إذِ المنفعةُ تؤولُ إلى المُتْعَةِ، فالمنافع تُحصَّل للاستمتاعِ بها غالبًا، وتُحصَّل لغرضِ استدامتها مُدَّةً طويلة لِضمانِ الاستقرارِ في خَيْرِها؛ إذِ الالتذاذُ والتَّمتُّع لا يتمُّ إلّا ببقاء المنفعةِ زمنًا، فسَمّى المنافع باسمِ مقاصِدِ أصحابها منها، وفي تسميةِ المنافع بالمتاع دلالةٌ على سرعةِ انقضائها في الوقت، وسرعةِ زوالها في الإحساس والشُّعور؛ لأنَّها مادامتْ متاعًا، فهي مؤقَّتَة، والمؤقَّتُ محدودٌ وإنْ طال، وما دامتْ تُبْتَغى لِلَذَّة، فاللَّذَّةُ تَزولُ بالاعتياد، وتتْلفُ بعوارضِ الكَدَر، فثبتَ أنَّ المتاعَ سريعُ الفواتِ، غيرُ ثابتٍ، ولا مضمون، وما كان كذلك، فجديرٌ بالعاقل ألّا يركنَ إليه، وألّا يَغفُل به عن اللّه الجليل الذي جادَ به[1].

فائدةُ وصف المتاع بـ ﴿حَسَنًا﴾:

لا يُـمْـدَحُ متاعُ الدُّنيا إلا إذا كان حسَنًا طيِّبًا

وصفُ المتاع بقوله: ﴿حَسَنًا﴾؛ للنَّصِ على حقيقةِ الجزاء، فإنَّ الجزاءَ والمكافأة على الاستغفار والتوبة ليستْ في مجرَّد حصول المتاع؛ إذْ عرفتَ أنَّ المتاعَ غير ممدوحٍ في ذاتِه، لِما فيه من معاني السَّلب والانقطاع، بل الجزاءُ في حُسْنِ المتاعِ لكونِه متَّصِفًا بذلك، فالوصفُ لتقييد نوعِ المتاعِ المذكور، بأنَّه متاعٌ خاصٌّ للمستغفرين التائبين، وهو تمتيعٌ حسَنٌ يليقُ بقُربِ مقامهم من اللّه[2].

براعةُ اصطفاء لفظِ ﴿حَسَنًا﴾ لوصفِ المتاع به:

أهل الاستغفار والتوبة هم أهل الإحسان المَجْزِيُّون به

إنَّما وصَفَ المتاع بـ ﴿حَسَنًا﴾ دون غيره من الأوصاف؛ للإشارةِ إلى أنَّه جزاءٌ يُقابِلُ جِنْسَه من العمل، فهو يؤذِنُ بأنَّ الاستغفار والتوبة المأمور بهما في قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ من مقاماتِ الإحسانِ في العمل، ولا يَتحقَّقُ بهما إلّا المحسِنون، ولذا جازاهم عليه بالإحسان، مُطَابِقٌ مع عادة القرآن في مُجازاة الإحسان بالإحسان،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/316، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (متع).
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/95، وابن جُزَيّ، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/365، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/317.

كما صرَّح به في قوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، وقوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: 60].

دلالةُ التنكير في: ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾:

المتاع الحسَن لا يلزمُ منه أن يكون كثيرًا

التنكير في قوله: ﴿مَّتَٰعًا﴾ لإفادة الإطلاق والشّيوع المُبْهَم، أي: متاعًا أيَّ متاعٍ، فلا يُعرَف له نوعٌ ولا مقدار، فلمّا وصِفَ بالنَّكِرة ﴿حَسَنًا﴾؛ أفاد تنكيرُها تعيينَ النَّوع، أي: نوعٌ محدَّدٌ في المتاع هو النَّوع الحسَن[1]. فالتنكيرُ هنا للتبيين والتوضيح، أي: إنَّ الله تعالى يمتِّعُ عبادَه المستغفرين والتائبين بمتاعٍ حسن، لا يختلطُ بشرٍّ، ولا يلحَق به ضُرٌّ، ولا يتغيَّر بحالٍ، بل يبقى على حُسنه وجماله وكمالِه، وفيه إظهارُ عظمةِ النِّعَم التي يُنعِم الله تعالى بها على عباده المَوْصُوفِينَ بالاستغفار والتوبة، حيث إنَّها ليست مجرَّدَ نعمٍ مطلقة، بل هي نِعَمٌ حسنةٌ طيبة ومباركة، تعود على العباد بالخير والنفع.

دلالة ﴿إِلَىٰٓ﴾:

يستوي النّاسُ في انتزاعِ المتاعِ عنهم ببلوغِ الأجَل

﴿إِلَىٰٓ﴾ ومدخولها في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿يُمَتِّعْكُم﴾، وهو غايةٌ للتمتيع المذكور، بدلالة حرف الانتهاء ﴿إِلَىٰٓ﴾ الذي هو نَصٌّ على تحديد نهايةِ الفعلِ، فكأنَّه قيل: يمتِّعكم متاعًا ذا نهاية، أو مُنتهيًا، فالجار والمجرور في معنى الوصف بالانتهاء الذي يُشير إلى أنَّ المقصود بالمتاع متاعُ الدُّنيا؛ إذْ هو المتاع الذي سينتهي[2].

نكتة تنكير الأجل:

إبهامُ الأجَل اعتباريٌّ نِسْبيٌّ، فباعتبار صاحبه مجهول، وبالنِّسبة لجاعِلِه معلوم

تنكيرُ لفظ الأجل في قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ على بابه من إفادة معنى الإبهام، أي: أجلٍ منكورٍ غير معلوم، ووصْفُه بـ ﴿مُّسَمًّى﴾ لم يرفع إبهامَه عند السامع، بل أفاد أنَّه غير مُبهَمٍ في نفْسه، فإبهامُه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/317.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/317.

حاصِلٌ من جهة السامع، مَعْلُومٌ وظاهرٌ في جهتِه العليا عند اللّه، وهو يفيد أنَّ إبهامَه مقصودٌ مُرادٌ لِحِكْمَة؛ إذْ هو من صَفَحاتِ الغَيْب.

فائدةُ مجيء اسم المفعول ﴿مُّسَمًّى﴾:

لا حيلةَ للعبدِ في رزقِه وأجَلِه فكلاهما قدَرٌ مُسمًّى

مجيء وصف الأجَل بصيغة اسم المفعول ﴿مُّسَمًّى﴾ في قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دلَّ على ثلاثةِ معانٍ: الدَّلالة على ذات المفعول، وهو الأجلُ نفسُه بمقدارِه وكيفيَّته، والدَّلالة على الحدَثِ الثّابت، فتسميَةُ الأجل ثابتةٌ دائمة؛ لأنَّها حُكمٌ مَقْضيٌّ، والدلالة على الحدوث، وهي الفعليَّة، فهو حادِثٌ في الزَّمنِ الماضي، وباعتبار ميلاد كلِّ إنسان، فأجَلُه يبدأُ في الحدوثِ معه[1].

معنى الواو في: ﴿وَيُؤْتِ﴾:

اللـه يُجازي أولياءَه في الدُّنيا قبل الآخرة

جملة: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فهي داخلةٌ في حيِّزِ جوابِ الأمر في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وفائدةُ العطف بها تقسيمُ الجوابِ إلى جزأين مُتقابلين: جزءٌ يتعلَّق بالدنيا، وهو المتاع الحسَن المنتهي بالأجَل، وجزءٌ يتعلَّق بالآخرة، وهو إيتاءُ كلِّ ذي فضْلٍ فضْلَه[2].

نكتةُ التَّعبير بـ ﴿وَيُؤْتِ﴾ مادّة وصيغة:

الإيتاءُ أبلغ من الإعطاء وأدلُّ منه على السَّعةِ والهناءة

﴿وَيُؤْتِ﴾ من الإيتاء بمعنى الإعطاء، وفي التَّعبير به دلالةٌ على علوِّ المؤتي وسَعةِ إفضالِه وبَسْطَةِ يدِه؛ لأنَّ الإيتاء إنَّما يُسنَدُ إلى العطاء العظيم، ولذا أسنِدَ هنا إلى (الفضْل) وهو الشيء الوافِر الفائضُ الكثير، وفي التعبير بالإيتاء - أيضًا - دلالةٌ على أنَّهم يَنالونَ ما يَنالون من غير عناء بل في تمام هناء؛ إذِ الإيتاء يدلُّ على أنَّ الجزاء يأتي إليهم، ويَحضُر من غيرِ مُعاناةٍ في التَّطلعِ إليه أو السَّعي له، بل يأتيهم في يُسْرٍ ورَغَادة[3].

(1) فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص: 52.
(2) صافي، الجدول: 11/217.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/96.

غرضُ حذف فاعل ﴿وَيُؤْتِ﴾:

لم يقل في السّياق الكريم: (ويؤتِ اللّه كلَّ ذي فضلٍ فضلَه)، فطوى ذِكْرَ الفاعِل إيجازًا، لثلاثةِ وجوه:

لا تَصَرُّفَ بالمَنْع والمَنْح يوم الدّين إلّا لِلّه

الأوَّل: أنَّه في مقام لا إيتاء فيه إلّا له سبحانه، فهو مالك يوم الدّين، لا أحدَ يُنسَبُ إليه مُلْكٌ ولا عطاءٌ ولا شيء إلّا له سبحانه، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: 19]، فلمّا كان قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ﴾ مقصودًا به جزاءُ الآخِرة؛ لم يُحتَج إلى الإطنابِ بالتَّصريح بالفاعل؛ إذْ لا يَخفى أنْ لا فاعِلَ فيه إلّا اللّه.

الثاني: ظهورُ الفاعلِ في السّياق في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم﴾، فاكتَفى بذِكْرِه السابق عن إعادةِ التصريح به.

الثالث: أنَّ جملة: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ﴾ داخلةٌ في حيِّزِ جوابِ الأمر بالعطف على جملة الجواب ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾؛ فهي في حكمِها إعرابًا ومعنًى، والفاعِلُ مُضمَرٌ فيها في ﴿يُمَتِّعْكُم﴾، فيُضمَرُ كذلك في الجملةِ التي في حكْمِها؛ لِتحصُل الموافقةُ من جميع الوجوه.

مدلولُ الفَضْلَيْن في: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ﴾:

أهـلُ المعروف في الدُّنيا هم أهل المعروف في الآخرة

معنى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ﴾، يؤتي اللّه كلَّ صاحبِ فضلٍ من العملِ فَضْلَهُ من الجزاء، فالفضْل الأوَّل للإنسان، والفضل الثاني لِربِّ العالمين[1].

دلالةُ تسميةِ الأعمال بالفضل:

مـدحُ العمـلِ مدحٌ لصاحبِه

قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾، أي: صاحبِ عمَل، فسَمّى العمَل فضْلًا، وفيه أربع نِكات:

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/96.

الأولى: ليَدُلَّ على أنَّه عملٌ صالحٌ من معالي الأخلاق والخصال.

الثانية: لإفادةِ أنَّه كان في وسْعِهم بلوغ هذا الفضل، ولذا كان فضلًا، أي: فائضًا يقدرون على بَذْلِه من غير عناء، وهو يفيد أنَّ الله لم يُكلِّف نفسًا إلّا بما في وسْعِها.

الثالثة: للدلالة على أنَّ تلك الأعمال هي أجدرُ ما يؤتَى ويُفعَل؛ لأنَّها فاضلةٌ في نفسِها فهي حقيقةٌ بالالتزام وإنْ لم يكنْ جزاءٌ عليها[1].

الرابعة: أنَّ الله سَمَّى أعمالَهُم (فضْلًا) تزكيةً لأعمالهم ومدحًا لها؛ إذْ مدحُ العملِ مدحٌ لصاحبِه، فلمّا كان المُقامُ مقامَ جزاء، كان كأنَّه جازاهم مرَّتين مرَّةً بمدحهم بإعظام أعمالِهم وتسميتِها فضْلًا، ومرَّةً بإعطائهم مُقابِلَها من الفضلِ والثَّواب، ووجْه تسميتِها فضلًا باعتبارين: باعتبار جبْر خواطرهم بتَثْمينِ أعمالِهم وتنزيلها منزلةَ الكثير، وإنْ كانت قليلةً ضعيفةً في ذاتِها، وباعتبار أنَّه سبحانَه ربّاها، وضاعَفَها لهم بفضله - والله يُضاعفُ لمن يشاء - فلمّا ضاعَفَها؛ كَثُرتْ، فصارتْ فضلًا عظيمًا، فَوُصِفَتْ كذلك بحسَبِ قَدْرِه سبحانه من الكرم والفضل، لا بِقَدْرِهم من الوُسْعِ المحدود.

نكتة تنكير ﴿فَضْلٍ﴾:

التنكير في لفظِ ﴿فَضْلٍ﴾ في قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾؛ لإرادة الجنس، أي: كلُّ ما يُقالُ له فضْل، وكلُّ ما يُوصَفُ بأنَّه من الأعمال الفاضلة يُجازَى العبدُ عليه بالفضل، قليلًا كان أو كثيرًا، عظيمًا أو حقيرًا، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47][2].

الفضلُ من العبدِ ناقِصٌ قليل، وفضلُ الله كامِلٌ عظيم

معنى عود الضمير في ﴿فَضْلَهُۥ﴾:

الضميرُ في كلمة ﴿فَضْلَهُۥ﴾ مِنْ قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/229، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/318.
(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 1/40.

فضلُ العبدِ فائضٌ عن حاجة، وفضلُ الله فائضٌ عن وُسْعٍ وغِنًى

﴿فَضْلَهُۥ﴾ يُحتَمَل أنْ يعود على ﴿ذِى﴾، أي: عامِل الفضل، والتقدير: يؤتِ كلَّ صاحبِ فضلٍ استحقاقَه هو - أي: العامل - من الفضل والجزاء.

أو يعود على الله ﷻ، أي: يؤتِ اللّه فضلَه العظيم من الجزاء لكلِّ ذي فضلٍ من العامِلين، وهذا الوجه أولى؛ لاشتماله على نُكتَةٍ معنويَّة، وهي تعظيمُ الفضل (الجزاء) وتكثيرُه بإضافته إلى ضمير العظَمَةِ الذي يدلُّ على الكمال، أي: الفضل الكامل، وهذا المعنى لا يَظهر بإضافتِه إلى ضمير الإنسان[1].

معنى الواو في: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾:

من لم يستغفِر، ويتُبْ؛ فقد تولّى

جملة: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ معطوفة على جملة الخطاب بالأمر في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾ تَتْميمًا للمقابلة بين أعمال البِشارة والنِّذارة، فجملة: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾ تقتضي التبشير، وجملة: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ تقتضي النَّذير، والجمَل الثلاث: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ جميعها داخلة في حيّز التفسير لجملة: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، وهَذِهِ الجُمَل تأكيدٌ لمضمونِ الوصفِ النبويِّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾؛ إذ هي بيانٌ لمضمون الوصفين المذكورين[2].

فائدة الاشتراط بـ ﴿وَإِن﴾:

لم يَجزِم اللهُ بإعراض العاصين لئلّا يجزِمَ أحدٌ بمصير أحد

جاء قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ مُصدَّرًا بـ ﴿وَإِن﴾ الشرطيَّة التي تفيد الاحتمالَ وعدم القطع فيما دخلتْ عليه، إذْ إعراضهم وتولّيهم عن التكليف مظنونٌ غير مُحقَّق، إذ العادةُ جاريةٌ بوقوع الطاعةِ والمعصيةِ كليهما، فلا يمكن الجزمُ بإحْدَاهُمَا على الأخرى، فلمّا كان ذلك كذلك؛ عبَّر بما يفيد الشكَّ، أو يكون التَّعبير بـ (إن) خروجًا عن مقتضى الظّاهر دون مقتضى الحال، بإنزال الأمر المحقَّق منزلةَ الأمر المشكوك فيه لعدم الرَّغبة في وقوعه.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/149، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/4.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/318، ودرويش، إعراب القرآن: 4/311.

فائدة مجيءِ الجملة الشَّرطيَّة:

مَـــنْ يَـعـمَـلْ سُوءًا؛ يُجْزَ به

صوغُ الإخبار عن حال تولّيهم وإعراضهم بطريق الشرط، لِقصدِ تعيينِ الوعيدِ الجزائيِّ وترتيبه على التولّي وتسببِه عنه، فللنصِّ على السببيَّة والتعليل صاغه بالشرط؛ لكونِ أسلوبِ الشرطيَّة أخصرَ طريق وأحكمَه في الإنباء عن ذلك، ولو أخبر عن ذلك القصد من غير هذا الطريق؛ لكان فيه إطنابٌ وعدم إحكام، فكأنَّ قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٖ﴾ قام مقام من يقول: (تولّيكم سببٌ في عذابكم)، أو (عذابكم حاصلٌ لأجلِ تولّيكم)، فالشرط قائم مقام جملتين، الأولى على تقدير السببية والثانية على تقدير العِلِّيَّة، فكان أتمَّ وأوجز.

نكتةُ التَّعبير بالمضارع في ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ و﴿أَخَافُ﴾:

أرادَ اللهُ رحمةَ المُعرضين فأقبَلَ عليهم بخطابِه

التعبير بالمضارع في قوله: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾، وأصله (تَتَوَلَّوا)، فحذَف إحدى التَّاءَيْنِ تخفيفًا، ويؤيِّد أنَّه مضارعٌ للخطاب نَسَقُ الكلام ونظمُه في خطاب مَنْ تقدم في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ ﴿إِنَّنِي لَكُم﴾ ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾، ويؤيِّد المضارعةَ والخطاب كذلك نظمُ الكلام بعده في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالمضارع في ﴿أَخَافُ﴾، والخطاب في ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾، فيكون الكلام جاريًا على نسقٍ واحد، وهو الخطاب، وهذا أولى من اعتبار ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ فعلًا ماضيًا، للاضطرار إلَى تَقْدِيرِ العدول والالتفات معه؛ لأنَّه قال بعدها: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ والالتفاتُ غير وجيهٍ مُتمكِّنٍ هنا؛ لأنَّه خاطبهم في العبادة والاستغفار والتوبة، أي: خاطبهم بحال الطاعة وعاقبتها، فمن تمام الكلام أن يُخاطبهم بحال المعصية كذلك ومآلِها، فوجْهُ الالتفات مفضول، ووجْه الخطابِ أفضلُ وأحسن لموجِباتِه الصريحة هنا[1].

(1) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/283.

معنى الفاء في ﴿فَإِنِّيٓ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ رابطة لجواب الشرط، وهي تفيدُ ترتيب الجواب عن الشرط، وتعليل الشرط بالجواب، أي: عذابكم لأجلِ تولّيكم[1].

يُقبلُ اللهُ على المعرضين بخطابه، ويُقبلُ الرسولُ عليهم بخوفِه

مدلولُ الفاعل في: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾:

فاعل الخوف في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ للرسول ﷺ، وليس لله سبحانه؛ لتنزيه الله عن إسناد الخوف إليه، إذِ الله لا يخاف[2] ﷻ.

لا يُسْنَد إلى الله ما لا يليقُ إلّا بالمخلوق

بلاغة الالتفاتِ في: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾:

لم يقل في السياق الكريم: (وإن تولّوا يُعذِّبكم)، كما قال: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم﴾ فعدَل عن ذاتِ الله إلى شخصِ الرسولِ ﷺ، والْتَفَتَ من الغيبة إلى المُتَكَلِّم، وفي ذلك نُكتةٌ بديعة هي أنَّ الله ﷻ لم يُسنِد تعذيبهم إلى نفسِه، كما أسند تمتيعهم إلى نفسِه؛ إجلالًا مِنَ المَلِكِ لنفسِه أنْ يُخاطبهم بالوعيد بعد خطابهم بالفضل، فأوْكَلَ الرسول ﷺ لإبلاغهم بالوعيد وانفرد هو سبحانه بالوعد، وذلك - ولله المَثَل الأعلى - كحاكمٍ أو سُلطانٍ ألزمَ رعيَّتَه بتكليفٍ، وأخبرهم به بنفسِه، ثمَّ وعدهم بجزيل المكافأة والإفضال عليه، فلئلا يُكدِّر المقام عليهم، أو يُوحِشهم لَمْ يَصِل وعدًا بوعيد، بل ترك إخبارهم بالوعيدل لِمَنْ ينوبُ عنه في البلاغ؛ إجلالًا لمقام مُلْكِه أن يتكدَّر بما يؤلِم ويُوحِش، ويُعينُ على هذا التوجيه في هذا السياق: أنَّ الله عبَّر عن جزاء الطاعة بثوابين في قوله: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ و﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ وأمّا في حال الإعراض؛ فعبَّر بوعيد واحد وعلى لسان رسوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾،

اللهُ لطيفٌ بعباده فيُؤنِسُهم ولا يُوحِشُهم

(1) محمود صافي، الجدول: 11/216.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3663.

فهو يبسُط في مقام الوعد، ويقبِضُ، ويوجِز في مقام الوعيد، فكان من تمام القبضِ وعدم البسطِ في الوعيد ألّا يُسنِدَه إلى ذاته، بل يُنيبُ في الإبلاغ به الواسِطَةَ عنه.

دلالة التعبير بالفعل ﴿أَخَافُ﴾:

الرسول ﷺ أمَنَةٌ لأمّتِه من المخاوِف

لم يقل في السياق الكريم: (وإن تولّوا فإنّي أعدكم بعذاب) بل عبَّر بالخوف: ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؛ للإشارة إلى رحمة الرسول ﷺ في بلاغِه؛ إذِ التعبير بالخوف قبل العذاب مُضَمَّنٌ معنى الشَّفقةِ على مَنْ تولّى وأعرض، فكأنَّه حزينٌ وهو يُبلِّغه ويُوعِدُه.

نكتةُ التَّعبير بـ (إنَّ) والجملة الاسميَّة:

ليس أنصحَ ولا أخوفَ على الناس أحدٌ من رسول الله ﷺ

التَّعبير بـ (إنَّ) والجملة الاسميَّة في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ لتأكيد الخوف المذكور في نفْسِ المُبَلِّغ، فكأنَّه يقول: أخاف عليكم خوفًا مُتمكِّنًا منّي، فهو تحذيرٌ خالص مِمَّنْ يَصدُقُهم النَّصيحة، وليس تحذيرًا مُلْقًى على عواهِنِه، كمن يقول لغيره دُونَ قصد: أنا خائفٌ عليك إنْ فعلتَ كذا، وهو لا يقصد خوفًا، ولا يقصد من تعبيره حِرصًا، وأيضًا في الافتتاح بذلك قصدٌ لتأكيدِ المَخُوفِ منه، وهو وقوع العذاب بهم حالَ مُخالفتِهم[1].

معنى (على):

النبيُّ أولى بالعالَمين من أنفسِهم

(على) في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ أفادت الاستعلاءَ المجازيَّ، فكأنَّه بخوفِه مِنْ أنْ يَقع العذابُ بهم، قد اسْتَضَمَّهُم إليه، وأحاطهم من الخوف، فكان في هيئةِ المُستحوِذِ والمُستَعلِي عليهم، لا مِنْ كِبْرٍ أو خصومة، بل من خوفٍ وإشفاق، أو (على) في معنى التعليل، كأنَّه قال: (إنّي أخاف لأجْلِكم أو لِأجل رحمتي بكم).

نكتةُ تقديم شبه الجملة ﴿عَلَيْكُمْ﴾:

تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، ولم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/319.

النّاصِحُ الثِّقة أقــربُ الـنّـاس لـلـمـنـصـوح وأحرصهم عليه

يقل: (إنّي أخاف عذاب يوم كبيرٍ عليكم)؛ لإفادة الاختصاص والقُرب، أي: أخاف عليكم أنتم خاصَّة، وكذلك للغرض اللفظي في مراعاة الفاصلة، فإنَّ الجرسَ الصوتيَّ لتركيب الآيةِ مع تقديم الجار والمجرور أوقعُ وأتمُّ وأحسن من إجراء النَّظم على غير ذلك.

غرضُ إضافة العذاب إلى ﴿يَوْمٍ﴾:

يُـقَـدَّر الـشيء بمقدارِ ما أضيفَ إليه

إضافة العذاب إلى ﴿يَوْمٍ﴾ في قوله: ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؛ لتخصيص العذاب بالظرف، فهو عذابٌ مخصوصٌ بإضافتِه إلى يَوْمٍ مخصوص، وليس كأيِّ عذابٍ في أيِّ وقت، ففي الإضافة تفظيعٌ للعذابِ وتهويل له؛ إذ هو مضافٌ إلى يومٍ موصوفٍ بأنَّه كبير[1].

نكتة تنكير ﴿يَوْمٍ﴾:

من رحمة الله أنْ فـصَّـل في الثواب وأجمَلَ في العقاب

تنكير كلمة ﴿يَوْمٍ﴾ في قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ للتهويل؛ "لِتذهبَ نفوسُهم للاحتمالِ الممكِن أنْ يكون يومًا في الدنيا أو في الآخرة؛ لأنَّهم كانوا يُنكرون الحشر، فتخويفهم بعذابِ الدُّنيا أوقعُ في نفوسهم، وبذلك يكون تنكير ﴿يَوْمٍ﴾ صالحًا لإيقاعه مقابلًا للجزاءين في قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، فيقدِّر السامع: إنْ تولَّيتم فإنّي أخاف عليكم عذابين، كما رجوتُ لكم إن استغفرتم ثوابين"[2].

المجاز العقلِّي في وصف اليوم بالكِبَر:

يُوصَفُ الظَّرفُ بـــوصـــفِ ما يُلابِسُه ويقع فيه

إسنادُ الكِبَرِ إلى اليوم مجازٌ عقليٌّ؛ إذِ الكِبَرُ في الحقيقةِ لِما يَقَعُ فيه من الهَوْلِ والعذاب، فوصِفَ اليومُ بوصفِ ما يكون فيه؛ إذِ الظروفُ موصوفةٌ بمظروفاتِها، ويصحُّ أنْ يكون إسناد الوصف إلى الظرف حقيقيًّا لا مجاز فيه، باعتبار أنَّ اليوم كبيرٌ في نفسِه لأنَّه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/319.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/319.

ليس كسائر الظُّروف والأوقات، بل هو مُعَدٌّ ومجعولٌ لتلك الشدائد والأهوال، فليس له نظيرٌ يُقاسُ عليه. ويصحُّ أنْ يكون وصفُ ﴿كَبِيرٍ﴾ للعذابِ، ويكون لفظُ ﴿كَبِيرٍ﴾ مخفوضًا لِمُجاورةِ المخفوض، وهو لفظ ﴿يَوْمٍ﴾، وعلى ذلك لا مجاز في الإسناد[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإعطاء والإيتاء:

يُسنَدُ العطاءُ إلى الكثير والقليل، أمّا الإيتاءُ؛ فيُسنَدُ إلى الكثيرِ والعظيم

العطاء: هو مُناولَةُ الشيءِ للآخرين، فهو أصلٌ في الأخْذِ والتناول. والإيتاء: هو إحضارُ الشيءِ وإيصالُه لِلْمُعطى، وجعلُه يأتي إليه، فهو أصلٌ في المجيءِ والحضور، واستعمالُ الإيتاء في الإعطاءِ لكونِ العطاءِ يقتضي مُناوَلَةَ الشيءِ بعد إحضارِه، فالإيتاءُ أوَّلًا ثمَّ العطاءُ، ويختلف الإيتاء عن الإعطاء من ثلاثةِ وجوه:

الأوَّل: أنَّ الإيتاءَ يكون عن طِيبِ نفْسٍ لا عن إكراه، والعطاء قد يَحتَمِلُ معنى الإكراه، كما قال في الجزية: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: 29]، فجعل الإعطاء فيما كان عن غلبةٍ وقهْر.

الثّاني: أنَّ الإيتاء يكون في الشيء عَزيزِ القِيمة، كَثِيرِ المنفعة، عَظِيمِ القَدر، والعطاء قد يكون في البخْسِ والقليل، كما يكون في العظيم الكثير، فقد أسند العطاء إلى القليل في قوله: ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤﴾ [النجم: 34]، ولذا كان الإعطاءُ فيما يُنتقَل عنه إلى ما هو أعلى منه؛ ولذا قال: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: 1]، لانتقاله من الكوثر إلى ما هو أعلى منه، وهو الجنَّة ومزايا النَّعيم الأحسن، وأمّا الإيتاءُ؛ فلم يُسنَد إلّا إلى العَظِيم والكثير ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [ص: 20]، ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾ [طه: 99]، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء: 54].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/121، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/184، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/319.

الثالث: الإيتاء لا يتوقَّف على قبولِ الآخِذِ وموافقتِه، فهو حقيقٌ بالإيتاء من غير اعتبار موقِفه، ولذا كان فعلُ الإيتاء أقوى من الإعطاء، ولذا فعِل الإيتاء لا مُطاوع له من لفظِه، كما في الإعطاء، يقال: آتاني، فأخذته، وفي الإعطاء يقال: أعطاني، فعَطَوْت؛ وما له مطاوعٌ أضعفُ في إثباتِ مفعولِه ممّا لا مُطاوِع له، ولذا لم يَقُل في الزَّكاة: (ويُعطون الزّكاة)؛ لئلّا يُحْتَمَلَ توقُّفه على القبول، كما قال: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: 29]، فإنَّ عطاءهم الجزية متوقِّف على قبولِ المسلمين منهم ذلك[1].

(1) الجوهري، الصحاح: (عطا)، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أتى، عطو)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 86، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 212.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»